مصباح كمال؛* ملاحظات تمهيدية في نقد الذكاء الاصطناعي: بين الآيديولوجيا والفلسفة

على ضفاف الطوفان الرقمي

يشهد العالم اليوم سيلاً من الأدبيات المتعلقة بالذكاء الاصطناعي. فباللغة الإنجليزية وحدها تنشر آلاف الدراسات والمقالات والكتب بوتيرة تجعل الإحاطة بها أمرًا بالغ الصعوبة، بل مستحيلًا في كثير من الأحيان. وفي خضم هذا السيل المتزايد، يصبح من الضروري التوقّف عند الأصوات التي تقف خارج التيار السائد، وتقدّم قراءة نقدية تتجاوز الاحتفاء التقني أو الخطاب التبشيري الذي يرافق الذكاء الاصطناعي في الإعلام والأكاديميا والصناعة.

من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه المجموعة المختصرة من المقالات، التي اخترتُ فيها نصوصًا للأستاذ الاقتصادي الأمريكي **مارتن هارت–لاندسبيرغ**،[1] وهو أحد الأصوات اليسارية التي تقارب الذكاء الاصطناعي من زاوية نقدية، تربط التقنية بالبنى الاقتصادية والاجتماعية التي تنتجها وتعيد إنتاجها. هذا المنظور، الخارج عن السرديات الليبرالية السائدة، يتيح فهمًا أعمق للذكاء الاصطناعي بوصفه ظاهرة تاريخية وسياسية، لا مجرد ابتكار تقني.

كان لعدد من الأساتذة العراقيين إسهاماتهم، من بينهم الدكتور تحسين الشيخلي الذي قدم في السنوات الماضية محاضرات مهمة ونشر كتابات لم أطلع عليها سوى مقالة

[1] ترجمت له مقالاً: "مارتن هارت-لاندسبيرغ: لا، ليس هذا وهماً، مخطط الشركات للذكاء الاصطناعي يشكل خطرًا حقيقيًا،" موقع **شبكة الاقتصاديين العراقيين**: مارتن هارت-لاندسبيرغ: لا، ليس هذا وهماً، مخطط الشركات للذكاء الاصطناعي يشكل خطرًا حقيقيًا – شبكة الاقتصاديين العراقيين

نشـرت في جريدة طريق الشـعب.[2] كما قرأت للدكتور عادل كنيش مطلوب[3] الذي تناول موضـوع الذكاء الاصـطناعي في ضـوء أفكار كارل ماركس[4] ليكشـف من خلال بحث معمق عن إرهاصـات دبجها ماركس في مخطوطاته المعروفة تحت عنوان الغروندريسة Grundrisse[5] التي كتبها في شتاء 1857-1858 ولم تنشر إلا في 1939 و 1941 في جزئين. وضـمّ إشـارات لافتة إلى العلاقة بين الآلة والعمل ورأس المال، كما درسـها الدكتور عادل، وهي إشـارات تكتسـب اليوم راهنية جديدة مع صعود الأتمتة والذكاء الاصطناعي.

أما على المستوى المهني، فقد حاولتُ بدوري مقاربة تأثير الذكاء الاصـطناعي على صـناعة التأمين،[6] وهي صـناعة تشـهد تحوّلات متسـارعة بفعل إدخال البرمجيات الذكية في عمليات الاكتتاب والتعويض وإدارة المخاطر. وتكشف الصحافة التأمينية الإنجليزيـة عن سـيل من المقـالات التي تتنـاول هـذه التحوّلات، مـا يعكس حجم الرهانات الاقتصادية المرتبطة بالتقنية الجديدة.

---

[2] تحسين الشيخلي، "الماركسية الرقمية.. دعوة الى إعادة تشكيل الحياة الرقمية على أسس عادلة،" **طريق الشعب**، 10كانون2/يناير 2026: https://tareeqashaab.com/index.php/articles/30256-almarksyt-alrqmyt-d-wt-aly-a-adt-tshkyl-alhyat-alrqmyt-ly-ass-adlt

[3] عادل كنيش مطلوب، "الذكاء الاصطناعي بين الرأسمالية المتأخرة وإرث ماركس: قراءة نقدية في خطاب "المجانية" وهيمنة المعرفة،" الذكاء الاصطناعي بين الرأسمالية المتأخرة وإرث ماركس: قراءة نقدية في خطاب "المجانية" وهيمنة المعرفة – شبكة الاقتصاديين العراقيين

وكذلك: "البنية التحتية اللامركزية للذكاء الاصطناعي،" موقع **شبكة الاقتصاديين العراقيين**: البنية التحتية اللامركزية للذكاء الاصطناعي. – شبكة الاقتصاديين العراقيين

[4] عادل كنيش مطلوب، **الذكاء الاصطناعي في ضوء بعض من نصوص جروندرسية ماركس**، (نشر شخصي، شباط 2026). الكتاب متوفر في موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين: الذكاء الاصطناعي في ضوء بعض من نصوص جروندرسية ماركس – شبكة الاقتصاديين العراقيين

[5] Karl Marx, *Grundrisse: Foundations of the Critique of Political Economy*, translated by Martin Nicolaus (Penguin Books, 1973)

[6] مصباح كمال، "ملامح التأثيرات المتوقعة للذكاء الاصطناعي على صناعة التأمين،" موقع **شبكة الاقتصاديين العراقيين**: ملامح التأثيرات المتوقعة للذكاء الاصطناعي على صناعة التأمين. – شبكة الاقتصاديين العراقيين ومقال آخر مترجم: "من يدفع عندما لا يقود أحد؟ شركات التأمين البريطانية تستعد لتغييرات جذرية في مسؤولية المركبات ذاتية القيادة،" لم أستطع الوصول إلى رابط نشره.

التكنولوجيا كأيديولوجيا: من هايدغر إلى نقد الذكاء الاصطناعي

في سياق أوسع، يطرح سؤال الذكاء الاصطناعي اليوم إشكالية تتجاوز التقنية ذاتها، لتلامس الفراغ الفكري الذي خلّفته الآيديولوجيات الراديكالية المنهارة. وقد عبّر حازم صاغية عن هذا الفراغ في مقالته المنشورة في الشرق الأوسط،[7] حيث يرى أن انهيار الأيديولوجيات تركنا أمام مهمة إعادة تأسيس المعاني، بل إعادة تأسيس الزمن نفسه، كي نفهم ذواتنا والعالم الذي نعيش فيه بطريقة مختلفة.

غير أن البعض يذهب إلى القول إن زمن الأيديولوجيا قد ولّى، وجاء زمن التكنولوجيا المحايدة. وهذه الفكرة، رغم انتشارها، تخفي قدرًا كبيرًا من السذاجة. فالتكنولوجيا ليست محايدة، بل هي كما يذكّرنا مارتن هايدغر (1889-1976) آيديولوجيا بامتياز وكما ذكر صاغية. في مقالته الشهيرة "السؤال المتعلّق بالتكنولوجيا" (1954)، يبيّن هايدغر أن التقنية الحديثة ليست أدوات نتحكّم بها، بل **إطار** يُعيد تشكيل علاقتنا بالعالم، ويحوّل الطبيعة والبشر إلى موارد قابلة للاستغلال. وهكذا تصبح الأنهار احتياطيّات للطاقة، والغابات مخزونًا للخشب، والبشر موارد بشرية تنتظر الاستخدام. إنها رؤية للعالم، لا مجرد أدوات داخل العالم.[8]

التكنولوجيا كآيديولوجيا: منظور ماركسي

يلتقي هذا التصور مع التحليل الماركسي الذي يرى أن التكنولوجيا جزء من البنية الفوقية التي تخدم إعادة إنتاج علاقات الإنتاج. لكنها تُقدَّم في الخطاب العام بوصفها

[7] حازم صاغية، "هل يُملأ الفراغ الذي خلّفته الآيديولوجيّات الراديكاليّة المنهارة؟" جريدة **الشرق الأوسط**، 22 شباط 2026: هل يُملأ الفراغ الذي خلّفته الآيديولوجيّات الراديكاليّة المنهارة؟

[8] راجع **الموسوعة الحرة**:
https://en.wikipedia.org/wiki/The_Question_Concerning_Technology

تقدمًا طبيعيًا لا يمكن مقاومته، وقوة محايدة فوق السياسة، ومسارًا حتميًا للتطور، ومعيارًا لقياس التقدم والتخلّف (مع الاختلاف حول ماهيتهما).

هذه السردية تُخفي أن التكنولوجيا تتطور داخل منطق التراكم الرأسمالي، وأنها تُستخدم لإعادة تشكيل العمل وتعميق السيطرة وتوسيع استخراج فائض القيمة— كما يشرح الدكتور عادل. وهكذا تتحول التكنولوجيا إلى آيديولوجيا لأنها تُحوّل علاقات القوة إلى حقائق تقنية تُخفي الطابع الطبقي للابتكار، وتُقدّم التغيير التقني كبديل عن التغيير الاجتماعي، وتُشرعن الأتمتة والتقشف والخصخصة بوصفها ضرورات تقنية، وكأنها من نمط قوى الطبيعة، وليس من إفرازات النظام الرأسمالي وتوزيع، أو قل احتكار، مصادر القوة.

فلسفة التقنية: حيادٌ يتقن إخفاء انحيازاته

يقدم الذكاء الاصطناعي كمنظومة موضوعية ومحايدة في حين أنه يخفي الانحياز لمصالح الشركات، وعلاقات المراقبة surveillance المتزايدة، وإعادة تشكيل العمل.

لقد باتت التكنولوجيا الحديثة، كما هي مجسدة في الذكاء الاصطناعي، آلية لشرعنة النظام القائم. لاحظ اللغة التي تستخدمها الشركات وجمهرة كبيرة من الكتاب والمغلقين: التحول الرقمي، الكفاءة، الابتكار، ليس هناك بدائل عن الأتمتة التي باتت ضرورية. يضاف إلى ذلك اختزال المشكلات الاجتماعية في حلول تقنية.

لماذا نحتاج إلى نقد الذكاء الاصطناعي؟

لأن فهم التكنولوجيا كآيديولوجيا يتيح لنا كشف كيف تُستخدم التقنية لإعادة إنتاج السلطة، ولفهم المصالح الاقتصادية والسياسية التي تُخفيها، ومقاومة تحويل

الخيارات السياسية البديلة إلى ضرورات تقنية. إن إعادة توجيه التكنولوجيا نحو أهداف اجتماعية عادلة سيفتح الباب أما تصورات بديلة.

إن الذكاء الاصطناعي ليس قدرًا محتومًا، بل حقل صراع اجتماعي. وهذا الكتيب محاولة لفتح هذا النقاش، وإعادة هذه التقنية إلى سياقها التاريخي والسياسي، بعيدًا عن الأسطرة والتهويل، وقريبًا من الإنسان الذي تُعاد صياغة حياته اليوم تحت اسم الذكاء الاصطناعي.■

* كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
http://iraqieconomists.net/ar/